

الشعر والموقف الإسلامي منه (من التيه إلى التكليف)

جامعة بغداد/ كلية الصيدلة

م . م نرجس جبار صالح

مادة اللغة العربية

المقدمة

حين أشرق نور الإسلام، لم يمحُ لغة العرب، بل هذب مقاصدها وسمّا بأهدافها. فبعد أن كان الشعر يُسخر للمفاخرة القبلية، أصبح في عهد النبوة سلاحاً فكرياً ورسالةً أخلاقية تُدافع عن الحق وتبني المجتمع.

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

((وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (224) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ (225) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (226) إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ غَدٍ
مَا ظَلَمُوا ۗ وَسَتَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ ((227))

المحور الأول / واقع الشعر الجاهلي :

قبل البدء بالآيات، نستعرض "الأغراض" التي كان يهيم فيها الشعراء، وهي التي استدعت الإصلاح القرآني:

الغزل الفاحش:

لم يكن مجرد وصف للمشاعر، بل كان في كثير منه وصفاً حسياً يتجاوز حدود الحياء، ويركز على المغامرات التي تهتك الستر، مما يفسد أخلاق الشباب والمجتمع.

الخمرة والمجون:

كانت "أم الخبائث" غرضاً مستقلاً؛ يتفنن الشعراء في وصف كؤوسها ومجالسها وآثارها، مما يجعل من "السكر" فضيلة ومن التبذير كرمًا، وهو ما يتصادم مع العقل الرزين.
(عمرو بن كلثوم)

لَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبِحِينَا .. وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا
مُشْعَشَعَةً كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا .. إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
التحليل: هنا يظهر تقديس المادة واللذة، وهو ما اصطدم لاحقاً بتحريم الخمر

الفخر القبلي والتعصب:

وهو "الفخر الزائف" بالآباء والأجداد حتى لو كانوا ظالمين. كان هذا الغرض يغذي الحروب (مثل حرب البسوس)، ويقوم على تحقير الآخرين وبث الفرقة ونشر الكراهية بين القبائل.

عمرو بن كلثوم،
إِذَا بَلَغَ الْفِطَامَ لَنَا صَبِيٌّ ... تَخِرُّ لَهُ الْجَبَابِرُ سَاجِدِينَ
نَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا ... وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا

المحور الثاني: "البيان الإلهي" (الرؤية القرآنية في سورة الشعراء)

____. عندما نزلت الآيات: **{وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُوهُمْ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ**

يَهيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ}، لم يكن الذم للفن لذاته، بل لهذه الأغراض التي ذكرناها (الكذب الفني، التذبذب الأخلاقي، الاتباع الغاوي).

____. "الاستثناء" العظيم (دستور الأدب الإسلامي): ((الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا

اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا^{فُل} وَسَيَعْلَمُ^{فُل} الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ))

ان الله عز وجل وضع "خارطة طريق" للشاعر المسلم بوضع أربعة شروط تنقل الشعر من

"الهيام" إلى "الالتزام": الإيمان: عقيدة راسخة. العمل الصالح: شعر للإصلاح لا للفساد. ذكر الله

كثيراً: ألا تشغله الشهرة عن الخالق. الانتصار من بعد الظلم: الإذن بالدفاع عن الحق.

المحور الثالث:

(حسان بن ثابت) كيف تحول الشعر إلى "تطبيق قرآني"؟

نستعرض كيف استجاب حسان بن ثابت لهذه الرؤية، محولاً لسانه إلى سلاح يخدم العقيدة: في الدفاع والانتصار:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ فِدَاءُ

في الرد على هجاء المشركين (الانتصار المشروع):

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ

عبد الله بن رواحة: من "الأنا" القبلية إلى "الفناء" في سبيل المبدأ:

، سنحلل الصراع النفسي الذي قدمه ابن رواحة، وهو ما يسمى في النقد الحديث "المناجاة الداخلية" (Soliloquy) ابن رواحة لم يكن يمدح شجاعته كما فعل عنترة أو عمرو بن كلثوم؛ بل كان "يؤدب" نفسه.

في الجاهلية، كان الشاعر يفتخر بإقدامه لكي يُقال عنه "بطل"، أما ابن رواحة فيخاطب نفسه التي قد تتردد أمام الموت، وهنا نجد **أدب المجاهدة**. التعمق في الأبيات:

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلَنَّ .. طَائِعَةً أَوْ لَتُكْرَهَنَّ

هَإِنِ أَجْلَبَ النَّاسُ وَشَدَّوْا الرِّثَّةَ .. مَالِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّةَ

ومفهوم "النفوس المطمئنة" في القرآن. ابن رواحة هنا يمارس عملية "ترويض" شعري للنفس لتنتقل من الخوف الطبيعي إلى الثبات الإيماني. هذا النوع من الشعر يسمى "شعر العقيدة" حيث تغيب المفاخرة بالقبيلة ويحل محلها الاستعداد للقاء الله.

كعب بن مالك لم يكن مجرد شاعر، بل كان "وزير الإعلام" :

الذي يستخدم لغة الترهيب العسكري لإحباط معنويات الخصوم.
في الجاهلية، كان الترهيب قائماً على الظلم والعدوان (كما عند عمرو بن كلثوم:
"ونبدأ ظالمينا"). أما عند كعب بن مالك، فالقوة مرتبطة بـ "الشرعية" و* "التفويض
الإلهي" *.

**:نَصْلُ السُّيُوفِ إِذَا عِتَكَّرَنَ بِقَضِينَا .. لِلَّهِ نَحْنُ وَنَصَرِنَا لِلدِّينِ
جِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ الْبَحْرِ طَامِيٍّ .. يُغَادِرُ مَنْ أَمَّ الْعِرَاقَ بِرَسْفٍ**

لاحظ استخدامه لصورة "الموج الطامي" و* "السيوف كالمصابيح" *. الموج: يوحي
بالكثرة والزخم الذي لا يُرد. المصابيح: استعارة مذهلة؛ فالسيف ليس أداة للقتل فقط،
بل هو "نور" يكشف الباطل ويضيء طريق الحق. هنا تتحول الأداة الحربية من أداة
"دموية" في الجاهلية إلى أداة "تنويرية" في الإسلام.

س / لماذا أمر النبي ﷺ هؤلاء الشعراء بالرد، ولم يكتفِ بالقرآن؟

لأن الحرب كانت "إعلامية" بامتياز. القرآن نص إلهي معجز، لكن "الشعر" كان هو اللغة اليومية التي تفهمها القبائل. لذا، قام هذا الثلاثي بـ "أسلمة الفن"؛ أي استخدام نفس القوالب اللغوية القديمة (البحور العروضية كالرجز والكامل) لكن بروح جديدة كلياً.

المحور الرابع: قصيدة البردة (تسامي الأغراض الشعرية)

التمهيد:

"بردة" كعب بن زهير (التي نال بها برده ﷺ)

1. تحويل "الغزل" إلى "شوق إيماني": بدلاً من الغزل الفاحش الذي ذكرناه في الجاهلية، نجد كعب بن زهير يبدأ قصيدته بالنسيب (الغزل العفيف) لكنه يوجهه نحو غاية أسمى، وهي مقدمة لمدح النبي ﷺ

:بَانتْ سَعَادُ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ ... مُتِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ يُغْدَ مَكْبُولٌ

(، وهو مدح القيم والرسالة)

2. تحويل "الخوف" من الملوك إلى "الرجاء" في النبي ﷺ: في الجاهلية كان الشاعر يمدح الملوك طمعاً في المال أو خوفاً من السطوة، أما كعب فجاء معتذراً نادماً، محققاً شرط {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا}: أ

نُبِيتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي ... وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ مَأْمُولٌ

3 . الوصف الإعجازي (بديل الفخر الزائف): استبدل الشعراء الفخر بالقبيلة بوصف النبي ﷺ بصفات النور والهداية، وهو "الفخر الحقيقي" الذي يجمع الأمة

:إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنْدٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ

(هذا البيت هو الرد الإسلامي البليغ على "سيف" الجاهلية الذي كان يُسلُّ للظلم والعصية

1ومما تقدم يتضح لنا:

القرآن الكريم لا يُعطي الشعر والشاعر صفة الذم مطلقاً ولا صفة المدح مطلقاً.

2- القرآن الكريم يتوجه بالذم أو بالمدح للشاعر بناءً على موضوع النص الشعري، فإن كان في نصرة الدين أو دعوة للفضيلة كان شعراً ممدوحاً، وإن كان في التنقص من الدعوة والأنبياء والدعوة للردائل كان شعراً مذموماً.

3- نهى الله تعالى عن قول الباطل والتغنى به وأمر بقول الحق والدفاع عن العقيدة الإسلامية

4- نفى القرآن الكريم عن النبي محمد -صلوات الله وسلامه عليه- قول الشعر مطلقاً، ويدخل في نفي قول الشعر عنه جميع أنواع الشعر الممدوح منه شرعاً والمباح كذلك.

((ختاما))

إن الإسلام لم يأت ليخنق الموهبة الأدبية أو ليمحو التراث الشعري العربي، بل جاء ليقوم بعملية "إعادة تدوير" كبرى لهذه القوة اللغوية الهائلة.

1. **تحرير الموهبة** لقد حرر الإسلام الشاعر من استعباد "القبيلة" و"الخمرة" و"الجسد"، ليربطه بقيم إنسانية وعقائدية كبرى. الشاعر الذي كان يهيم في وديان الغزل الفاحش، أصبح يرتجل الأبيات في ساحات الجهاد وهو يتسم للموت، لأن "المعنى" في ذهنه قد تغير
2. **الفن في خدمة الرسالة** تعلمنا من نماذج حسان وابن رواحة وكعب أن الأدب ليس ترفاً، بل هو "قوة ناعمة" وسلاح إعلامي قادر على بناء الدولة وحماية هويتها. لقد أثبت هؤلاء الشعراء أن الالتزام الديني لا يتنافى مع الإبداع الفني، بل يمنحه عمقاً وخلوداً
3. **بردة التسامح** تظل قصيدة "كعب بن زهير" والبردة النبوية الشريفة أعظم شاهد على احتواء الإسلام للفن؛ فبرغم ماضيه في الهجاء، استُقبل كعب بالعفو والتكريم، مما أسس لمنهج أدبي يجمع بين رصانة البناء الجاهلي ونقاء المضمون الإسلامي

شكراً لحسن
إصغائكم

Zoom